

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضِرَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

www.menhag-un.com

حُكْمُ التَّكْذِيبِ بِالْبَعْثِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۗ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (١٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٩ - ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِئَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ (١١) وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا سَطِيرٌ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٠ - ١٧].

* قُلْتُ: (رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ): غَلَبَ وَغَطَّىٰ عَلَيْهَا أَوْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣]، وَاسْتَدَلَّ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الْآيَةَ.

وَأَمَّا إِقْنَاعُ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ فَبِمَا يَأْتِي:

* قُلْتُ: هَذَا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّكَ تَجِدُ الْعَجَبَ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَنْ يُكَذِّبُ بِوُجُودِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ يُكَذِّبُ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَمَنْ يَجْحَدُ الدِّيَانَاتِ كُلَّهَا، وَمَنْ يُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَالْعَرْضِ وَالنُّشُورِ وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ.

تَجِدُ الْعَجَبَ! وَالْعَالَمُ يَمُوجُ بِالْفِتَنِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ الْبَاطِلَةِ الْفَاجِرَةِ الْمُجْرِمَةِ.

فَالْمُسْلِمُ -وَطَالِبُ الْعِلْمِ خَاصَّةً- يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَازِقًا يُدَافِعُ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِيَسْلُغَ دِينَ اللَّهِ ﷻ لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدْخُلَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» (١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَوَّلًا: أَنَّ أَمْرَ الْبَعْثِ تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، وَتَلَقَّتْهُ أُمَّمُهُمُ بِالْقَبُولِ، فَكَيْفَ تُنْكِرُونَهُ وَأَنْتُمْ تُصَدِّقُونَ بِمَا يُنْقَلُ إِلَيْكُمْ عَنْ فَيْلَسُوفٍ أَوْ صَاحِبِ مَبْدَأٍ أَوْ فِكْرَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ مَا بَلَغَهُ الْخَبَرُ عَنِ الْبَعْثِ لَا فِي وَسِيلَةِ النَّقْلِ، وَلَا فِي شَهَادَةِ الْوَاقِعِ؟

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْجِهَادِ، ١٠٢: ٢، رَقْمٌ ٢٩٤٢) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (فَضَائِلِ

الصَّحَابَةِ، ٤: ٧، رَقْمٌ ٢٤٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* قُلْتُ: يَعْنِي يُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَوَاتَرَتْ عَنْهُمْ الْأَنْبَاءُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ يَقُولُونَ: هَذَا حَدِيثٌ خُرَافَةٌ، وَمَا أَوْحَى اللَّهُ لِبَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ.

يُقَالُ سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ، وَأَنْتُمْ تُصَدِّقُونَ أَنَّ هُنَالِكَ مَنْ كَانَ قَبْلُ مِنْ أَرِسْطُو، وَأَفْلَاطُون، وَسُقْرَاطَ، وَمَنْ فَوْقَهُمْ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الَّذِينَ تَأْخُذُونَ بِأَقْوَالِهِمْ، وَتَعْتَمِدُونَهَا فِإِذَا نَقِلَ إِلَيْكُمْ بِالتَّوَاتُرِ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ مِنَ الْبُعْثِ، وَالتُّشُورِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْغِيَابِ فِي طَيِّبَاتِ الْقُبُورِ تَكْذِبُونَ!! فَهَذَا أَوْلَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَثِيمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثَانِيًا: أَنَّ أَمْرَ الْبُعْثِ قَدْ شَهِدَ الْعَقْلُ بِإِمْكَانِهِ، وَذَلِكَ مِنْ وَجُوهٍ:

١- كُلُّ أَحَدٍ لَا يُنْكِرُ أَنَّ يَكُونُ مَخْلُوقًا بَعْدَ الْعَدَمِ، وَأَنَّهُ حَدِيثٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَالَّذِي خَلَقَهُ وَأَحْدَثَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ بِالْأَوْلَى، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٢- كُلُّ أَحَدٍ لَا يُنْكِرُ عَظَمَةَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِكِبَرِهِمَا وَبَدِيعِ صَنْعَتِهِمَا، فَالَّذِي خَلَقَهُمَا قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ النَّاسِ وَإِعَادَتِهِمْ بِالْأَوْلَى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨١-٨٢].

* قُلْتُ: هَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ كَمَا تَرَى: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ أَمْ خَلَقَ النَّاسَ؟ سَيَقُولُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا مُنْصِفًا: بَلْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَيُقَالُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ النَّاسَ قَادِرٌ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ عَلَيَّ إِعَادَةِ النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ:

٣- كُلُّ ذِي بَصَرٍ يُشَاهِدُ الْأَرْضَ مُجْدِبَةً مَيْتَةَ النَّبَاتِ، فَإِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ عَلَيْهَا أَخْضَبَتْ وَحَيَّتْ نَبَاتَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَادِرُ عَلَيَّ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا قَادِرٌ عَلَيَّ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ وَبَعْثِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

* قُلْتُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ هَامِدَةٌ جَامِدَةٌ مَيْتَةٌ مُتَشَقِّقَةٌ، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ زَادَتْ، وَعَلَتْ، وَانْتَفَخَتْ، ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

هَذَا دَلِيلٌ حِسِّيٌّ عَقْلِيٌّ فِطْرِيٌّ مُشَاهِدٌ مَنْظُورٌ، كُلُّ أَحَدٍ يَرَاهُ، أَرْضٌ تَكُونُ مَيْتَةً جَدْبَةً مُتَشَقِّقَةً هَامِدَةً خَاشِعَةً فَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهَا الْغَيْثُ بِأَمْرِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ انْتَفَشَتْ،

وَاهْتَزَّتْ بِالنَّبَاتِ، وَرَبَّتْ مُتَّفِخَةً عَالِيَةً، ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾ هَذَا دَلِيلٌ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثَالِثًا: أَنَّ أَمْرَ الْبُعْثِ قَدْ شَهِدَ الْحِسُّ وَالْوَاقِعُ بِإِمْكَانِهِ فِيمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ وَقَائِعِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ خَمْسَ حَوَادِثَ مِنْهَا، قَوْلُهُ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

* قُلْتُ: أَرَاهُ اللَّهُ الْآيَةَ فِي نَفْسِهِ وَحِمَارِهِ وَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، فَأَمَّا الْحِمَارُ فَلَمَّا أَصَابَهُ الْمَوْتُ أَدْرَكَهُ الْبَلَى؛ لِأَنَّهُ لَبِثَ مِئَةَ عَامٍ، وَأَمَّا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَهُمَا مَظْنَتُهُ الْفَسَادِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَلَّلَ الْحِمَارُ مَعَ ذَلِكَ بَقِيًا عَلَى حَالِهِمَا مِنْ صِلَاحِهِمَا، وَلَمْ يَلْحَقْهُمَا فَسَادٌ، فَأَمَّا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، وَالْمَظْنُونُ أَنْ يَفْسُدَا أَوْلًا فَبَقِيَ عَلَى صِلَاحِهِمَا.

وَأَمَّا الْحِمَارُ فَصَارَ عِظَامًا تَلُوحُ فَلَمَّا أَحْيَاهُ اللَّهُ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ بِالْمَكَانِ أَوْ خَرَجَ مَعَ الضُّحَى فَأَحْيَاهُ اللَّهُ مَعَ الْعِشِيِّ.

فَقَالَ: كَمْ لَبِثْتَ؟

قَالَ: لَبِثْتُ يَوْمًا، خَرَجْتُ ضَحَى، وَأَنَا الْآنَ بِالْعَشِيِّ، وَلَكِنْ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،
فَالدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ لَعَلَّهُ يَوْمٌ، وَلَكِنْ هُوَ بَعْضُ يَوْمٍ، فَقَدْ خَرَجْتُ مَعَ الضُّحَى.

﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ فَاَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ، وَشَرَابِكَ، وَهُمَا مَظِنَّةُ
الْفَسَادِ.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لَمْ يَتَغَيَّرْ، كَانَ مَعَهُ طَعَامٌ، وَكَانَ مَعَهُ شَرَابٌ مِنْ شَرَابِ
الْخُوخِ أَوْ مِنْ شَرَابِ التِّينِ أَوْ مَا أَشْبَهَ لَمْ يَفْسُدْ، وَظَلَّ عَلَى حَالِهِ.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾، وَجَدَهُ عِظَامًا تَلُوحُ.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ آيَةً لَنَا.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ إِلَى عِظَامِ حِمَارِكَ.

﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ كَيْفَ نَرَفَعُهَا، فَأَمَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعِظَامَ فَارْتَفَعَتْ
فَعَادَ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ هَيْكَلِ الْحِمَارِ حَتَّى صَارَ هَيْكَلًا قَائِمًا.

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، ثُمَّ كَسَيْتِ الْعِظَامَ لَحْمًا بَعْرُوقٍ، وَأَعْصَابٍ، وَجِلْدٍ،
وَشَعْرٍ.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سُبْحَانَهُ لَا يَفْعَلُ هَذَا
إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ سِوَاهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رَابِعًا: أَنَّ الحِكْمَةَ تَقْتَضِي البُعْثَ بَعْدَ المَوْتِ لِتُجَازِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ خَلْقُ النَّاسِ عَبَثًا لَا قِيمَةَ لَهُ، وَلَا حِكْمَةَ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ فَرْقٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آئِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿﴾ [طه: ١٥].

* قُلْتُ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آئِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ فِيهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنَ النُّحَاةِ الصَّرْفِيِّينَ، وَالْمُفَسِّرِينَ، وَغَيْرِهِمْ، ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ يَعْنِي هِيَ ظَاهِرَةٌ، الهمزة فِي ﴿أُخْفِيهَا﴾ هَمْزَةُ الْإِزَالَةِ خَفِيَ الشَّيْءُ يَعْنِي صَارَ خَفِيًّا لَا يُرَى، فَإِذَا أَدَخَلْتَ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ أَلِفَ الْإِزَالَةِ أَزَلْتَ الْمَعْنَى، وَسَلَبْتَهُ فَأُخْفِي هُنَا بِمَعْنَى أَظْهَرُ، ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، يَعْنِي: أَكَادُ أَظْهَرُهَا فَهَذِهِ الهمزة يُقَالُ لَهَا أَلِفُ الْإِزَالَةِ أَزَلْتَ الْمَعْنَى، وَقَلْبْتَهُ، ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾.

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِبَيْنِ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿﴾ [النحل: ٣٨-٤٠].

* قُلْتُ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، يَعْنِي: مُجْتَهِدِينَ فِي الْحَلْفِ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ وَأَوْكَدِهَا، ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ يُقْسِمُونَ بِأَوْكَدِ الْأَيْمَانِ وَأَغْلَظِهَا عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا قُلُوبَنَا وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبِّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

فَإِذَا بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْبَرَاهِينَ لِمُنْكَرِي الْبَعْثِ وَأَصْرُوا عَلَىٰ إِنْكَارِهِمْ، فَهُمْ مُكَابِرُونَ مُعَانِدُونَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

● ● ●
جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

الْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].....

* قُلْتُ: ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ يُبَشِّرُونَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ، وَسَائِرَ الطَّاعَاتِ بِالْجَنَّةِ.

وَ(التَّبَشِيرُ) مَعْنَاهُ ذِكْرُ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ لِمَنْ أَطَاعَهُ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ يُنذِرُونَ أَهْلَ الشُّرْكِ، وَسَائِرَ الْمَعَاصِيِ بِالنَّارِ، وَ(الْإِنذَارُ) تَخْوِيفُ الْعَاصِيِ وَالْكَافِرِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى وَعِقَابِهِ، وَقَدْ يَأْتِي التَّبَشِيرُ أحيانًا فِي الْعَذَابِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ وَهَذَا لِيَزِيدَ تَبَكُّيتَهُمْ.

إِنَّ التَّبَشِيرَ فِي الْأَصْلِ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا يَسُرُّ فَإِذَا سَمِعُوا ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾، ثُمَّ تَلَا ذَلِكَ: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ كَانَ أَقْسَى وَقَعًا عَلَى قُلُوبِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: بَيْنَ الْمُؤَلَّفِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - أَنْ اللهُ أَرْسَلَ

جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَهُمْ بِالْجَنَّةِ وَيُنذِرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ بِالنَّارِ.

وَأَرْسَالَ الرُّسُلِ لَهُ حِكْمٌ عَظِيمَةٌ مِنْ أَهْمِهَا بَلْ هُوَ أَهْمُهَا أَنْ تَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُمْ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿لَيْتَ لَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

وَمِنْهَا أَنَّهُ مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فَإِنَّ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ مَهْمَا كَانَ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُدْرِكَ تَفَاصِيلَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْحُقُوقِ الْخَاصَّةِ بِهِ، وَلَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى مَا لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى مَالِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى؛ وَلِهَذَا أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ؛ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.

وَأَعْظَمُ مَا دَعَا إِلَيْهِ الرُّسُلُ مِنْ أَوْلِهِمْ نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى آخِرِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ التَّوْحِيدُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

* قُلْتُ: بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ أَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ؛ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ بِالْكَفْرِ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَبِإِثْبَاتِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ هَذِهِ دَعْوَةُ الْمُرْسَلِينَ، وَهَذَا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ.

أَوَّلُ الرُّسُلِ وَآخِرُهُمْ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالذَّلِيلُ عَلَيَّ أَنْ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]...

* قُلْتُ: لَمْ يَذْكُرِ الدَّلِيلُ عَلَيَّ أَنْ مُحَمَّدًا ﷺ آخِرُهُمْ؛ لِوُضُوحِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾
[الأحزاب: ٤٠]، وَالنَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» (١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: بَيْنَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ
أَنَّ أَوَّلَ الرُّسُلِ نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَسْتَدَلَّ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

* قُلْتُ: مَا وَجْهُ الإِسْتِدْلَالِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَيَّ أَنْ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
هُوَ أَوَّلُ الرُّسُلِ؟

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْفِتَنِ، ١: ١٣، رَقْمٌ ٤٢٥٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي (الْفِتَنِ، ٤٣: ٢، رَقْمٌ

(٢٢١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» (٥٤٠٦).

وَجْهَ الْإِسْتِدْلَالِ مِنَ الْبَعْدِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، فَلَوْ كَانَ هُنَاكَ رَسُولٌ قَبْلَ نُوحٍ لَذَكَرَ.

هَذَا وَاضِحٌ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾، فَبَدَأَ بِهِ: ﴿وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، وَكُلُّ نَبِيٍّ يُوحَى إِلَيْهِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَإِلَّا كَيْفَ يَكُونُ نَبِيًّا لَا يُنْبَأُ إِلَّا بِالْوَحْيِ، وَلَكِنْ قَالَ: ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدًا قَبْلَهُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ الْمُرْسَلِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»، مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «إِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى نُوحٍ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»^(١)، فَلَا رَسُولَ قَبْلَ نُوحٍ، وَبِهَذَا نَعْلَمُ خَطَأَ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلَ نُوحٍ، بَلِ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ إِدْرِيسَ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

* قُلْتُ: كَمَا فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ^(٢).

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٢: ١، رَقْمُ ٣٨٨٧)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٍ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٤: ٥، رَقْمُ ١٦٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: «فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فِإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فِإِذَا فِيهَا إِدْرِيسُ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ».

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَآخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَمَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ كَافِرٌ مُّرْتَدٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ.

* قُلْتُ: قَالَ ﷺ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» (١).

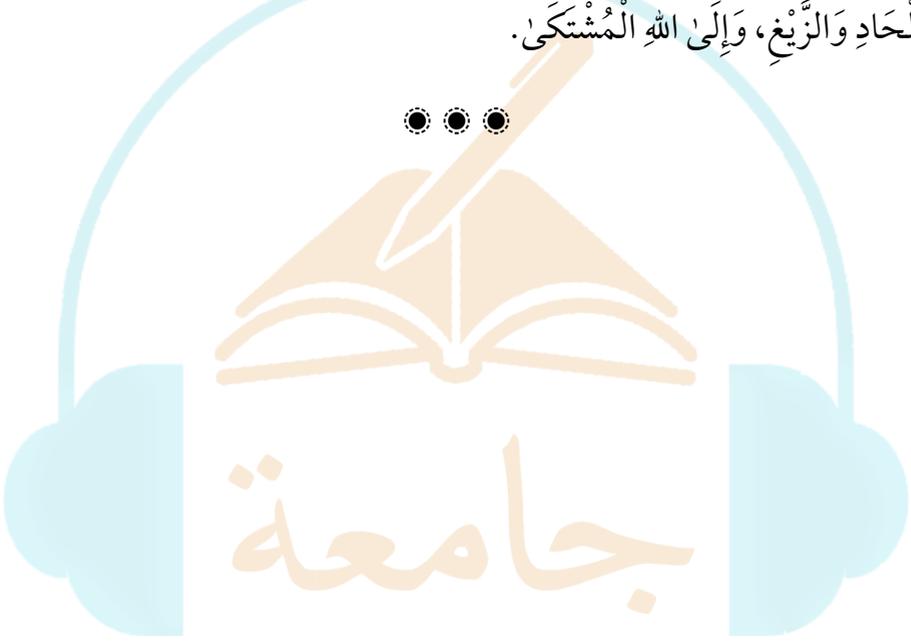
وَلَا عِبْرَةَ بِمَا يَقُولُهُ الْمُخَرَّفُ غُلَامٌ مَّرَزَا أَحْمَدَ الْقَادِيَانِي الصَّالُّ الْكَافِرُ الْمُجْرِمُ الَّذِي قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ بَشَّرَ بِي فَقَالُوا كَيْفَ؟ قَالَ: وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، قَالَ: أَنَا أَحْمَدُ، وَأَمَّا النَّبِيُّ فَمُحَمَّدٌ، قَالَ: فَبَشَّرَ بِي الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قِيلَ لَهُ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ مَا تَقُولُ فِي هَذَا قَالَ الْخَاتَمُ لَيْسَ هُوَ الْأَخِيرُ الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَاسِطَةُ الْعَقْدِ، وَأَنَا حَبَّةٌ فِي الْعَقْدِ، هَذَا الْمَجْنُونُ!!

فَكَلَّمَا لَقِيَّ ﷺ نَبِيًّا مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، وَقَالَ فِي آدَمَ: «بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ»، وَكَذَا قَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ إِدْرِيسُ: «بِالْأَخِ الصَّالِحِ»، وَلَوْ كَانَ فِي عَمُودٍ نَسَبِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ وَأَبُوهُ آدَمُ، وَيُخَاطَبُهُ بِالنُّبُوَّةِ وَلَمْ يُخَاطَبُهُ بِالْأُخُوَّةِ.

انظر: «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلْفَاضِي عِيَاضٍ (١/ ٥٧٥ - ٥٧٦)، وَ«التَّوْضِيحُ لِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ» لِابْنِ الْمُثَنَّى (٥/ ٢٤٣ - ٢٤٥، دَارُ الْفَلَاحِ)، وَ«فَتْحُ الْبَارِي» (٦/ ٣٧٥).

(١) تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ.

وَلَهُمْ الْآنَ فَضَائِيَّةٌ كَمَا سَمِعْنَا، وَعَلِمْنَا تَبْتُ تِلْكَ السُّمُومَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
بِحُجَّةٍ أَنَّهَا تُدَافِعُ عَنِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ ضِدَّ تَرَاهَاتِ الْمُنْصَرِّينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ
الْإِلْحَادِ وَالزَّيْغِ، وَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى.



مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

دَعْوَةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَالنَّهْيُ عَنِ الشَّرْكِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحَدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: أَيُّ أَنَّ اللهَ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحَدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرْكِ وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: هَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

* قُلْتُ: ﴿بَعَثْنَا﴾: أَيُّ أَرْسَلْنَا.

﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ يَعْنِي فِي كُلِّ أُمَّةٍ بَلَّغْتَهَا الرِّسَالَةَ، وَهَذَا الْعُمُومُ يُسْتَفَادُ

مِنْ ﴿كُلِّ﴾، ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ فَكُلُّ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ أَلْفَاظِ الْعُمُومِ.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، وَهُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ يَجْمَعُ أَمْرَيْنِ:

الأوَّل: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ.

والثَّانِي: النَّهْيُ عَنِ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

وَهَذَانِ هُمَا النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ، وَهُمَا مَا بُعِثَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

كُلُّ رَسُولٍ أُرْسِلَ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، كُفِرَ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَعِبَادَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ.

مِنْهَاجُ التَّوْحِيدِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَفْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيْمَانَ بِاللَّهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: أَرَادَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ بِهَذَا أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَاجْتِنَابِ الطَّاغُوتِ، وَقَدْ فَرَضَ اللهُ ذَلِكَ عَلَى عِبَادِهِ.

وَالطَّاغُوتُ مُشْتَقٌّ مِنَ الطُّغْيَانِ، وَالطُّغْيَانُ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، يَعْنِي: لَمَّا زَادَ الْمَاءُ عَنِ الْحَدِّ الْمُعْتَادِ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ يَعْنِي السَّفِينَةَ.

وَأَصْطِلَاحًا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ - أَيِ الطَّاغُوتِ -: «كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ» (١).

(١) فِي «إِعْلَامِ الْمُوقِّعِينَ» (٤٠/١) (دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، وَقَالَ: «فَطَّاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مَنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ يَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ اللهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ؛ فَهَذِهِ طَوَاعِيْتُ الْعَالَمِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَتَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ النَّاسِ مَعَهَا رَأَيْتَ أَكْثَرَهُمْ عَدَلُوا مِنْ عِبَادَةِ اللهِ إِلَى عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَعَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى اللهِ وَإِلَى الرَّسُولِ إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ، وَعَنْ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِهِ إِلَى طَاعَةِ الطَّاغُوتِ»

وَمُرَادُهُ بِالْمَعْبُودِ وَالْمَتَّبِعِ وَالْمُطَاعِ غَيْرُ الصَّالِحِينَ، أَمَّا الصَّالِحُونَ فَلْيَسُوا طَوَاعِيَتَ وَإِنْ عُبِدُوا أَوْ اتَّبِعُوا أَوْ أُطِيعُوا، فَلْأَصْنَامُ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ طَوَاعِيَتٌ، وَعُلَمَاءُ السُّوءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ، أَوْ يَدْعُونَ إِلَى الْبِدْعِ، أَوْ إِلَى تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، أَوْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ طَوَاعِيَتٌ، وَالَّذِينَ يُزَيِّنُونَ لِدَوْلَةِ الْأَمْرِ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيْعَةِ الْإِسْلَامِ بِنُظْمٍ يَسْتَوِرُ دُونَهَا مُخَالَفَةً لِنُظْمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ طَوَاعِيَتٌ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ تَجَاوَزُوا حَدَّهُمْ، فَإِنَّ حَدَّ الْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ حَقِيقَةً وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، يَرْتَوْنَهُمْ فِي أُمَّتِهِمْ عُلَمَاءَ وَعَمَلًا، وَأَخْلَاقًا، وَدَعْوَةً وَتَعْلِيمًا، فِإِذَا تَجَاوَزُوا هَذَا الْحَدَّ وَصَارُوا يُزَيِّنُونَ لِلْحُكَّامِ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيْعَةِ الْإِسْلَامِ بِمِثْلِ هَذِهِ النُّظْمِ فَهَمَّ طَوَاعِيَتٌ؛ لِأَنَّ هُمْ تَجَاوَزُوا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ مِنْ مُتَابِعَةِ الشَّرِيْعَةِ.

* قُلْتُ: وَقَوْلُ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُرَادُهُ بِالْمَعْبُودِ، وَالْمَتَّبِعِ، وَالْمُطَاعِ مَا سِوَى الصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ، فَيَقَالُ: (كُلُّ مَنْ عُبِدَ) يَعْنِي مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، يَقُولُ: عَيْسَى عَبْدٌ، وَالْعَزِيزُ.

فَيَقَالُ لَهُ: لَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَخْبَرَ الْقَوْمَ بِأَنَّهُ عَبْدٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَرَسُولٌ مِنْهُ، فَهَذَا فِي حَالِ -كَمَا سَيَأْتِي- رِضَا الْمَعْبُودِ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ إِيَّاهُ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ غَيْرُ رَاضٍ فَلَيْسَ كَذَلِكَ.

وَمُتَابِعَتُهُ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ النَّاجِينَ الْفَائِزِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمْ الصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَلَا فَصَدُوا فَصَدَهُمْ.

يَعْنِي إِذَا كَانَ رَجُلٌ تَظَنُّ بِهِ الْوَلَايَةَ، وَتَدَّعَى لَهُ، وَهُوَ يَأْمُرُ النَّاسَ أَنَّهُ إِذَا مَا مَاتَ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَلْجَأُوا إِلَى قَبْرِهِ؛ فَقَبْرُهُ التَّرْيَاقُ الْمَجْرَبُ، وَأَنْ يَذْبَحُوا عِنْدَهُ، وَأَنْ يَطُوفُوا حَوْلَهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، هَذَا يَرْتَضِي هَذِهِ الْعِبَادَةَ لَهُ، هَذَا يَرْتَضِيهَا، وَيَأْمُرُ بِهَا، وَهَذَا كَبِيرٌ لَا يَجُوزُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوْ مُطَاعٍ» فَيُرِيدُ بِهِ الْأَمْرَاءَ الَّذِينَ يُطَاعُونَ شَرْعًا أَوْ قَدْرًا، فَالْأَمْرَاءُ يُطَاعُونَ شَرْعًا إِذَا أَمَرُوا بِمَا لَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ لَا يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ طَوَاعِيَةٌ.

وَالْوَاجِبُ لَهُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَطَاعَتُهُمْ لَوْلَاةِ الْأَمْرِ فِي هَذَا الْحَالِ بِهَذَا الْقَيْدِ طَاعَةٌ لِلَّهِ ﷻ؛ وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ نُلَاحِظَ حِينَ نُنْفِذُ مَا أَمَرَ بِهِ وَلِيُّ الْأَمْرِ مِمَّا تَجِبُ طَاعَتُهُ فِيهِ أَنَّنَا فِي ذَلِكَ نَتَعَبَّدُ لِلَّهِ تَعَالَى وَنَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، حَتَّى يَكُونَ تَنْفِيزُنَا لِهَذَا الْأَمْرِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ ﷻ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُلَاحِظَ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

* قُلْتُ: وَكَذَلِكَ كَانَ يَقُولُ أَنْتَ - مَثَلًا - إِذَا مَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَوَضَّأَ فَتَنْوِي أَنْ تَتَوَضَّأَ يَكْفِي أَنْ تَنْوِي رَفَعَ الْحَدِيثِ أَوْ اسْتِبَاحَةَ الصَّلَاةِ يَقُولُ تَنْوِي طَاعَةَ أَمْرِ اللَّهِ هَذِهِ نَبِيَّةٌ، وَتَنْوِي امْتِثَالَ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، وَتَنْوِي الْإِتْيَانَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي هَذَا الْوُضُوءِ، وَكَمَا فِي هَذِهِ الطَّهَّارَةِ تَنْوِي رَفَعَ الْحَدِيثِ أَوْ اسْتِبَاحَةَ الصَّلَاةِ تَجْمَعُ هَذِهِ النِّيَّاتِ.

كَذَلِكَ إِذَا نَوَيْتَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ، تَنْوِي أَنْ تَرْفَعَ الْجَهَالََةَ عَنْ نَفْسِكَ، تَنْوِي أَنْ تَعْرِفَ بِالْعِلْمِ رَبَّكَ، تَنْوِي أَنْ تَعْرِفَ أَحْكَامَ الدِّينِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنْ تَكُونَ سَائِرًا خَلْفَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، تَنْوِي أَنْ تَعَلَّمَ هَذَا الْعِلْمَ، وَأَنْ يَنْفَعَكَ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ، تَنْوِي أَنْ تُدَافِعَ بِهَذَا الْعِلْمِ عَنْ دِينِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، نِيَّاتٌ فَإِذَا مَا نَوَيْتَهَا مَجْمُوعَةً هَكَذَا تَحَصَّلَتْ عَلَى أَجْرِهَا فَاتَى بِهَذَا الْأَمْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ-

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا طَاعَةُ الْأَمْرَاءِ قَدْرًا فَإِنَّ الْأَمْرَاءَ إِذَا كَانُوا أَقْوِيَاءَ فِي سُلْطَتِهِمْ، فَإِنَّ النَّاسَ يُطِيعُونَهُمْ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَوَازِعُ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ طَاعَةَ وَلِيِّ الْأَمْرِ تَكُونُ بَوَازِعُ الْإِيمَانِ وَهَذِهِ هِيَ الطَّاعَةُ النَّافِعَةُ، النَّافِعَةُ لِبُؤْلَةِ الْأَمْرِ، وَالنَّافِعَةُ لِلنَّاسِ أَيْضًا، وَقَدْ تَكُونُ الطَّاعَةُ بَوَازِعُ السُّلْطَانِ بِحَيْثُ يَكُونُ قَوِيًّا يَخْشَى النَّاسَ مِنْهُ وَيَهَابُونَهُ؛ لِأَنَّهُ يَنْكُلُ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ.

* قُلْتُ: «إِنَّ اللَّهَ يَزِعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزِعُ بِالْقُرْآنِ»، كَمَا قَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).



(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَبَّةٍ فِي «تَارِيخِ الْمَدِينَةِ» (٣/٩٨٨)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ: أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا يَزِعُ السُّلْطَانُ النَّاسَ أَشَدَّ مِمَّا يَزِعُهُمُ الْقُرْآنُ»، وَفِي سَنَدِهِ انْقِطَاعٌ، وَرُوِيَ نَحْوَهُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَا يَصِحُّ.

أَحْوَالِ النَّاسِ مَعَ حُكَّامِهِمْ

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ مَعَ حُكَّامِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَهُمْ أَحْوَالٌ:

الْحَالُ الْأُولَى: أَنْ يَقْوَى الْوِزَاعُ الْإِيْمَانِيَّ وَالرَّادِعُ السُّلْطَانِيَّ وَهَذِهِ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ وَأَعْلَاهَا.

* قُلْتُ: فَيَحْمِلُهُمْ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ عَلَى التَّزَامِ أَحْكَامِ الدِّينِ وَالْإِيْمَانِ.

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الْحَالُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ يَضْعَفَ الْوِزَاعُ الْإِيْمَانِيَّ وَالرَّادِعُ السُّلْطَانِيَّ، وَهَذِهِ أَدْنَى الْأَحْوَالِ وَأَخْطَرُهَا عَلَى الْمُجْتَمَعِ، عَلَى حُكَّامِهِ وَمَحْكُومِيهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا ضَعْفَ الْوِزَاعُ الْإِيْمَانِيَّ وَالرَّادِعُ السُّلْطَانِيَّ حَصَلَتِ الْفَوْضَى الْفِكْرِيَّةُ وَالْخُلُقِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ.

الْحَالُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَضْعَفَ الْوِزَاعُ الْإِيْمَانِيَّ وَيَقْوَى الرَّادِعُ السُّلْطَانِيَّ وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ وَسَطِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَوِيَ الرَّادِعُ السُّلْطَانِيَّ صَارَ أَصْلَحَ لِلْأُمَّةِ فِي الْمَظْهَرِ فَإِذَا اخْتَفَتِ قُوَّةُ السُّلْطَانِ فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حَالِ الْأُمَّةِ وَسُوءِ عَمَلِهَا.

الْحَالُ الرَّابِعَةُ: أَنْ يَقْوَى الْوِزَاعُ الْإِيْمَانِيَّ وَيَضْعَفَ الرَّادِعُ السُّلْطَانِيَّ فَيَكُونُ الْمَظْهَرُ أَدْنَى مِنْهُ فِي الْحَالَةِ الثَّالِثَةِ لَكِنَّهُ فِيمَا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ أَكْمَلُ وَأَعْلَى.

رُءُوسُ الطَّوَاعِيَتِ
مَدْخُلٌ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالطَّوَاعِيَةُ كَثِيرَةٌ وَرُءُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (وَالطَّوَاعِيَةُ): جَمْعُ طَاغُوتٍ وَسَبَقَ

تَفْسِيرُهُ.

(وَرُءُوسُهُمْ): أَيُّ زُعَمَائِهِمْ وَمُقَلِّدِيهِمْ خَمْسَةٌ.



الأول: إبليس

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: إبليسُ هُوَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ اللَّعِينُ.

* قُلْتُ: لِأَنَّهُ الدَّاعِي إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، فَهُوَ أَوَّلُ الطَّوَاعِيَةِ؛ ﴿ وَالرَّاعِيَةُ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَبْنِيءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠]، الْمُرَادُ بِعِبَادَتِهِ هُنَا طَاعَتُهُ.

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الَّذِي قَالَ اللهُ لَهُ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص: ٧٨]، وَكَانَ إبليسُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي صُحْبَتِهِمْ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِمْ، وَلَمَّا أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ظَهَرَ مَا فِيهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ فَطُرِدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

* قُلْتُ: نَسَأَلُ اللهُ أَنْ يُثَبِّتَنَا، وَأَنْ يَهْدِيَ قُلُوبَنَا، وَأَنْ يُحْسِنَ عَاقِبَتَنَا وَخِتَامَنَا إِنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الْإِنْسَانُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ صَلاَحٌ ظَاهِرٌ، وَلَكِنْ عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ، وَعِنْدَ الْفِتْنَةِ... نَسَأَلُ اللهُ الثَّبَاتَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.



الثَّانِي: مَنْ عَبْدَ وَهُوَ رَاضٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَوْلُهُ: (وَمَنْ عَبْدَ وَهُوَ رَاضٍ): أَيُّ عَبْدٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُوَ رَاضٍ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّهُ مِنْ رُءُوسِ الطَّوَاعِيَةِ - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ - وَسَوَاءٌ عَبْدٌ فِي حَيَاتِهِ أَوْ بَعْدَ مَمَاتِهِ إِذَا مَاتَ وَهُوَ رَاضٍ بِذَلِكَ.

* قُلْتُ: يَعْنِي بِأَنْ يُعْبَدَ، وَلَمْ يُحَذَرْ مِنْهُ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ النَّاسَ يَعْبُدُونَهُ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِ، وَيَصْرِفُونَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ فَرَضِي بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ، فَهُوَ طَاغُوتٌ؛ * * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * [الأنبياء: ٢٩].

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

الثالث: مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَوْلُهُ: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ): أَيُّ مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَإِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ فَإِنَّهُ مِنْ رُءُوسِ الطَّوَاعِيتِ سَوَاءً أُجِيبَ لِمَا دَعَا إِلَيْهِ أَمْ لَمْ يُجَبَّ.

جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

الرَّابِعُ: مَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ

* قُلْتُ: مَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ كَالْمُنْجِمِينَ، وَالْكُهَّانِ، وَالرَّمَالِينَ، وَمَا سِوَى هَؤُلَاءِ مِمَّنْ يَدَّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: الْغَيْبُ مَا غَابَ عَنِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ نَوْعَانِ: وَاقِعٌ، وَمُسْتَقْبَلٌ، فَغَيْبُ الْوَاقِعِ نِسْبِيٌّ يَكُونُ لِشَخْصٍ مَعْلُومًا وَلَا خَرَّ مَجْهُولًا.

* قُلْتُ: الْغَيْبُ الْوَاقِعُ: يُمَكِّنُ أَنْ تَعْلَمَ شَيْئًا حَدَثَ فِي مَكَانٍ فِي زَمَانٍ وَقَعَ وَلَا يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ، وَيَعْلَمُ هُوَ مَا لَمْ تَعْلَمْ، هَذَا غَيْبٌ نِسْبِيٌّ، الَّذِينَ فِي الطَّرِيقِ يَعْلَمُونَ مَا يَحْدُثُ فِي الطَّرِيقِ لَا نَعْلَمُهُ نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، هَذَا غَيْبٌ عَنَّا نَحْنُ هَذَا غَيْبٌ وَاقِعٌ، وَلَكِنَّهُ غَيْبٌ نِسْبِيٌّ يَعْلَمُهُ مَنْ يَعْلَمُهُ، وَيَجْهَلُهُ مَنْ يَجْهَلُهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: وَغَيْبُ الْمُسْتَقْبَلِ حَقِيقِيٌّ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا لِأَحَدٍ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ أَوْ مَنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الرُّسُلِ فَمَنْ ادَّعَى عِلْمَهُ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ يَأْمُرُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُعْلِنَ لِلْمَلَأِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ، فَإِنْ مَنْ ادَّعَى عِلْمَ الْغَيْبِ فَقَدْ كَذَّبَ اللهُ ﷻ وَرَسُولُهُ فِي هَذَا الْخَبَرِ.

وَنَقُولُ لَهُمْ لَآءٍ: كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَعْلَمُوا الْغَيْبَ وَالنَّبِيَّ ﷺ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟
هَلْ أَنْتُمْ أَشْرَفُ أَمِ الرَّسُولُ ﷺ؟

فَإِنْ قَالُوا: نَحْنُ أَشْرَفُ مِنَ الرَّسُولِ، كَفَرُوا بِهَذَا الْقَوْلِ.

وَإِنْ قَالُوا: هُوَ أَشْرَفُ فَنَقُولُ: لِمَاذَا يُحْجَبُ عَنْهُ الْغَيْبُ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَهُ؟ وَقَدْ
قَالَ اللَّهُ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى
مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿ [الجن: ٢٦-٢٧].

وَهَذِهِ آيَةٌ ثَانِيَةٌ تَدُلُّ عَلَى كُفْرٍ مَنْ ادَّعَى عِلْمَ الْغَيْبِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ
ﷺ أَنْ يُعْلِنَ لِلْمَلَأِ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].



لَمْ يَكُنْ مِنْهَا جُزْءًا

www.menhag-un.com

الخامس: مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

* قُلْتُ: وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، فَالَّذِي يَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مُسْتَحِلًّا لِذَلِكَ يَكُونُ طَاغُوتًا.

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ تَنْفِذُ لِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَى رُبُوبِيَّتِهِ، وَكَمَالِ مُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَبَوِّعِينَ فِي غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْبَابًا لِمُتَبِعِيهِمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَهَا وَجِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَبَوِّعِينَ أَرْبَابًا حَيْثُ جُعِلُوا مُشْرَعِينَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَمَّى الْمُتَبَعِينَ عِبَادًا حَيْثُ إِنَّهُمْ ذُلُّوا لَهُمْ وَأَطَاعُوهُمْ فِي مُخَالَفَةِ حُكْمِ اللَّهِ ﷻ.

* قُلْتُ: فَالْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَيْسَ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ يَقُومُ بِرَأْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ تَنْفِذُ لِحُكْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَنْفِذُ حُكْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ مُقْتَضَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا دَالٌّ عَلَى كَمَالِ مُلْكِهِ، وَكَمَالِ تَصَرُّفِهِ يَحْكُمُ فِيمَا يَمْلِكُ، وَفِيمَنْ يَمْلِكُ، وَيَتَصَرَّفُ فِي ذَلِكَ كَمَا يُرِيدُ سُبْحَانَهُ.

فَإِذَنْ هَذَا كَمَا تَرَى مِنْ تَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ، وَلَيْسَ قِسْمًا قَائِمًا بِرَأْسِهِ، دَلِيلٌ
تَوْحِيدِ الْحَاكِمِيَّةِ كَذَا وَكَذَا، بَلْ هَذَا كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي تَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَثِيمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدْ قَالَ عَدِيُّ بْنُ
حَاتِمٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ إِنَّهُمْ حَرَمُوا
عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ» (١).

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ
التَّحَاكُمَ إِلَى غَيْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَرَدَّتْ فِيهِ آيَاتُ بِنْفِي الْإِيمَانِ عَنْهُ، وَآيَاتُ بِنْفِرِهِ
وَظُلْمِهِ، وَفِسْقِهِ.

فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: فَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ
ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا
أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا
إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (١١)
فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ
أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (١٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (١٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٠ التَّوْبَةُ، ١٣، رَقْمُ ٣٠٩٥)، وَحَسَنَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِيِّ فِي

لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحْكَمُوا فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴿النساء: ٦٠-٦٥﴾.

فَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ لِلْإِيمَانِ وَهُمْ مُنَافِقُونَ بِصِفَاتٍ:
الأولى: أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ التَّحَاكُمُ إِلَى الطَّاغُوتِ، وَهُوَ كُلُّ مَا خَالَفَ
حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ؛ لِأَنَّ مَا خَالَفَ حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ طُغْيَانٌ
وَاعْتِدَاءٌ عَلَى حُكْمٍ مِنْ لَدُنِ الْحُكْمِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وَهُوَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثانية: أَنَّهُمْ إِذَا دَعَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ صَدُّوا وَأَعْرَضُوا.

الثالثة: أَنَّهُمْ إِذَا أُصِيبُوا بِمُصِيبَةٍ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ - وَمِنْهَا أَنْ يُعْتَرَّ عَلَى
صَنِيعِهِمْ - جَاءُوا يَحْلِفُونَ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا إِلَّا الْإِحْسَانَ وَالتَّوْفِيقَ كَحَالِ مَنْ يَرْفُضُ
الْيَوْمَ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ، وَيَحْكُمُ بِالقَوَانِينِ الْمُخَالَفَةِ لَهَا؛ زَعْمًا مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ
الْإِحْسَانُ الْمُوَافِقُ لِأَحْوَالِ الْعَصْرِ.

ثُمَّ حَذَرَ - سُبْحَانَهُ - هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ لِلْإِيمَانِ الْمُتَّصِفِينَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ بِأَنَّهُ
- سُبْحَانَهُ - يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَمَا يَكُونُهُ مِنْ أُمُورٍ تُخَالِفُ مَا يَقُولُونَ، وَأَمْرَ نَبِيِّهِ
أَنْ يَعِظَهُمْ، وَيَقُولَ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا.

ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسُولِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُطَاعَ الْمَتَّبِعَ لَا غَيْرَهُ
مِنَ النَّاسِ مَهْمَا قَوِيَتْ أَفْكَارُهُمْ وَاتَّسَعَتْ مَدَارِكُهُمْ، ثُمَّ أَقْسَمَ تَعَالَى بِرُبُوبِيَّتِهِ
لِرَسُولِهِ الَّتِي هِيَ أَحْصَى أَنْوَاعِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالَّتِي تَتَّصِفُ بِالإِشَارَةِ إِلَى صِحَّةِ رِسَالَتِهِ
وَاللَّيْلَةَ أَقْسَمَ بِهَا قَسَمًا مُؤَكَّدًا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الإِيمَانُ إِلَّا بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

الأول: أَنْ يَكُونَ التَّحَاكُمُ فِي كُلِّ نِزَاعٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الثاني: أَنْ تَشْرَحَ الصُّدُورُ بِحُكْمِهِ، وَلَا يَكُونَ فِي النُّفُوسِ حَرْجٌ وَضِيقٌ مِنْهُ.

الثالث: أَنْ يَحْضَلَ التَّسْلِيمُ بِقَبُولِ مَا حَكَمَ بِهِ وَتَنْفِيذِهِ بِدُونِ تَوَانٍ أَوْ
انْحِرَافٍ.

* قُلْتُ: لَا يَصِحُّ الإِيمَانُ إِلَّا بِهَذِهِ الأُمُورِ الثَّلَاثَةِ.

قَالَ العَلَّامَةُ المُحَقِّقُ ابْنُ القَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ (١): «فَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ
أَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُحَكَّمَ الرَّسُولَ ﷺ فِي جَمِيعِ مَا شَجَرَ بَيْنَنَا، وَتَتَّسِعَ صُدُورُنَا
لِحُكْمِهِ فَلَا يَبْقَى فِيهَا حَرْجٌ، وَنُسَلَّمَ لِحُكْمِهِ تَسْلِيمًا فَلَا نُعَارِضُ بِعَقْلِ، وَلَا بِرَأْيٍ،
وَلَا هَوًى، وَلَا غَيْرِهِ.

فَقَدْ أَقْسَمَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ عَلَى نَفْيِ الإِيمَانِ عَنِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ العَقْلَ
عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَقَدْ شَهِدُوا هُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِمَعْنَاهُ،

(١) «الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ» (٣/٨٢٨).

وَإِنْ آمَنُوا بِلَفْظِهِ»، وَلَكِنَّهُمْ شَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِمَعْنَاهُ فَلَمْ يَلْتَزِمُوا ذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَانَدُوهُ، وَرَدُّوهُ، وَإِنْ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ آمَنُوا بِلَفْظِهِ هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ.

ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَنَفَىٰ عَنْهُ الْإِيمَانَ.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: فَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وَهَلْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ الثَّلَاثَةُ تَنْزَلُ عَلَىٰ مَوْصُوفٍ وَاحِدٍ؟ بِمَعْنَى أَنْ كُلَّ مَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ ظَالِمٌ فَاسِقٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ الْكَافِرِينَ بِالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

فَكُلُّ كَافِرٍ ظَالِمٌ فَاسِقٌ، أَوْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ تَنْزَلُ عَلَىٰ مَوْصُوفِينَ بِحَسَبِ الْحَامِلِ لَهُمْ عَلَىٰ عَدَمِ الْحُكْمِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ؟ هَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ عِنْدِي، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

* قُلْتُ: وَهَذَا هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَنْزَلُ عَلَىٰ

مَوْصُوفِينَ، وَهَؤُلَاءِ يَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْحُكْمُ عَلَىٰ حَسَبِ حَالِهِمْ فَقَدْ يَكُونُ الَّذِي لَا يَحْكُمُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ كَافِرًا، وَقَدْ يَكُونُ ظَالِمًا، وَقَدْ يَكُونُ فَاسِقًا عَلَىٰ حَسَبِ حَالِهِ.

إِذْنٌ فِيهَا تَفْصِيلٌ، هَذَا هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهَذَا هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ، انْشَعَبُوا مِنْ هَذِهِ النُّقْطَةِ وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَيَقُولُونَ بِالتَّفْصِيلِ، وَأَمَّا الْخَوَارِجُ فَيَقُولُونَ هُوَ الْكُفْرُ الْأَكْبَرُ، وَالظُّلْمُ الْأَكْبَرُ، وَالْفِسْقُ الْأَكْبَرُ، كُلُّ ذَلِكَ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ فَلَمْ يُفَصِّلُوا.

فَهَذِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ كَمَا سَيَأْتِي مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخَطِيرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ مِحْنَةٌ لِلْأُمَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ مَسْأَلَةُ الْحُكْمِ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ هِيَ مِحْنَةُ الْأُمَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَبِسَبَبِهَا وَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْبَلَاءِ نَسَأَلُ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْفَعَ الْكُرْبَ بِرَحْمَتِهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وَأَتَى -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بِقَاعِدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ تَلْخِيصُ الْقَاعِدَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ هِيَ:

مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مُسْتَحِلًّا لِذَلِكَ، فَهُوَ طَاغُوتٌ يَعْنِي يَقُولُ حُكْمِي بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ حَلَالٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُطْلَقًا، لَمْ يَنْهَ عَنْهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَا رَسُولُهُ. هَذَا طَاغُوتٌ.

وَكَذَلِكَ الَّذِي يَقُولُ هَذَا حَلَالٌ، وَهُوَ مُسَاوٍ لِشَرَعِ اللهِ أَوْ هُوَ أَحْسَنُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، فَهَذَا طَاغُوتٌ.

وَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَهُوَ يَقْرَأُ أَنَّ حُكْمَ اللهِ وَاجِبُ الْإِتِّبَاعِ، وَأَنَّ غَيْرَهُ بَاطِلٌ، وَأَنَّهُ يَحْكُمُ بِبَاطِلٍ، فَهَذَا كُفْرٌ أَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ لَكِنَّهُ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.

وَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِغَيْرِ تَعَمُّدٍ، بَلْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْاجْتِهَادِ، وَمِنْ
الْفُقَهَاءِ وَاجْتَهَدَ وَلَمْ يُصَبِّحْ حُكْمَ اللَّهِ يَكُونُ حَاكِمًا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، يَعْنِي إِذَا قَالَ
الْحُكْمُ كَذَا وَكَذَا فِي الْمَسْأَلَةِ، وَيَكُونُ الَّذِي قَالَهُ مُخَالَفًا لِحُكْمِ اللَّهِ، يَكُونُ حَيْثُ
حَاكِمًا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا أُوتِيَ مِنْ قِبَلِ الْخَطَأِ، وَالْغَلَطِ، فَهَذَا لَا شَيْءَ عَلَيْهِ،
وَهَذَا مَغْفُورٌ لَهُ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» (١).

فَهَذَا لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَضَى بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، يَعْنِي الْحَاكِمَ
الْقَاضِيَ الَّذِي يَحْكُمُ فِي الْمَسْأَلَةِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ خَطَأً لَا يَتَبَيَّنُ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ
فَيَقْضِي فِيهَا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، يَكُونُ حُكْمُهُ مُخَالَفًا لِحُكْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هَذَا
حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، يَعْنِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَهَلْ يَدْخُلُ فِي الْوَعِيدِ؟

لَا يَدْخُلُ فِي الْوَعِيدِ، بَلْ إِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، بَلْ إِذَا كَانَ مُجْتَهِدًا تَمَلَّكَ الْأَدَاةَ الَّتِي
بِهَا يَنْطِقُ، وَعَلَى أَسَاسِهَا يَحْكُمُ فَلَهُ أَجْرٌ، وَلَكِنَّهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أخطرِ الْمَسَائِلِ افْتَرَقَ فِيهَا طُلَّابُ
الْعِلْمِ، وَافْتَرَقَتْ طَوَائِفُ أَتْبَاعِ السَّلَفِ، وَانْشَعَبَتِ الطُّرُقُ تَحْتَ أَقْدَامِهَا، وَضَلَّ
فِيهَا مَنْ ضَلَّ، وَزَلَّ بِسَبَبِهَا مَنْ زَلَّ، هِيَ أخطرُ الْأُمُورِ الَّتِي عَرَضَتْ فِي هَذَا
الْعَصْرِ، وَهِيَ أخطرُ الْمَسَائِلِ الَّتِي تُجَابُهُ الْأُمَّةُ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِعْتِصَامِ، ٢١، رَقْمٌ ٧٣٥٢)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْأَقْضِيَّةِ، ٦، رَقْمٌ ١٧١٦)،

مِنْ حَدِيثِ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ، وَمَا تَرْتَبَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الْآثَارِ وَالْتَّائِجِ وَالْأَحْكَامِ
وَالْقِتَالِ وَالْخُرُوجِ وَنَزِيفِ الدِّمَاءِ وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ مَعْلُومَةٌ،
فَيُنْبَغِي عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَأَسَّى خُطَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُحْكِمَهُ إِحْكَامًا
صَحِيحًا، وَأَنْ يَصُدَّرَ فِيهَا عَمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَمِمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْأَصْحَابُ،
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ حَتَّى يَكُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحِ
لَا بِالْمَعْنَى الْمُسْتَعَارِ. هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فنقول: مَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ اسْتِخْفَافًا بِهِ، أَوْ احْتِقَارًا لَهُ، أَوْ اعْتِقَادًا أَنَّ غَيْرَهُ أَصْلَحُ مِنْهُ، وَأَنْفَعُ
لِلْخَلْقِ أَوْ مِثْلُهُ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا مُخْرِجًا عَنِ الْمِلَّةِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَضْعُونَ لِلنَّاسِ تَشْرِيعَاتٍ تُخَالِفُ التَّشْرِيعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ؛
لِتَكُونَ مِنْهَا جَا يَسِيرُ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَضْعُوا تِلْكَ التَّشْرِيعَاتِ الْمُخَالِفَةَ
لِلتَّشْرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا أَصْلَحُ وَأَنْفَعُ لِلْخَلْقِ، إِذْ مِنْ الْمَعْلُومِ
بِالضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْجِبَلَةِ الْفِطْرِيَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْدِلُ عَنْ مِنْهَا إِلَى مِنْهَا
يُخَالِفُهُ إِلَّا وَهُوَ يَعْتَقِدُ فَضْلَ مَا عَدَلَ إِلَيْهِ وَنَقَصَ مَا عَدَلَ عَنْهُ.

وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَهُوَ لَمْ يَسْتَخِفَّ بِهِ، وَلَمْ يَحْتَقِرْهُ، وَلَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّ
غَيْرَهُ أَصْلَحُ مِنْهُ لِنَفْسِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا ظَالِمٌ وَلَيْسَ بِكَافِرٍ وَتَخْتَلِفُ مَرَاتِبُ
ظُلْمِهِ بِحَسَبِ الْمَحْكُومِ بِهِ وَوَسَائِلِ الْحُكْمِ.

تَشْرِيعًا يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ إِنَّمَا شَرَعَهُ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ أَصْلَحُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَنْفَعُ لِلْعِبَادِ
كَمَا سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ أَعْنِي مَسْأَلَةَ الْحُكْمِ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْكُبْرَى الَّتِي
ابْتُلِيَ بِهَا حُكَّامُ هَذَا الزَّمَانِ؛ فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ لَا يَتَسَرَّعَ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا
يَسْتَحِقُّونَهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ؛ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ خَطِيرَةٌ - نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُصَلِّحَ
لِلْمُسْلِمِينَ وِلَاةَ أُمُورِهِمْ وَبَطَانَتَهُمْ - كَمَا أَنَّ عَلَى الْمَرْءِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ أَنْ
يُبَيِّنَهُ لَهُوَلَاءِ الْحُكَّامِ؛ لِتَقْوَمَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ.

* قُلْتُ: يَعْنِي يَصْعَدُ بَعْضُ النَّاسِ الْمُنْبِرَ، وَيَكْفُرُ الْحَاكِمَ فَنَقُولُ لَهُ: يَا أَخِي
لَعَلَّهُ لَا يَعْلَمُ، وَلَمْ تَقْمِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ.
يَقُولُ: لَا هُوَ يَعْلَمُ.

مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَعْلَمُ؟

يَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْلَمُ.

سُبْحَانَ اللَّهِ يَعْنِي هَلْ أَقَامَ أَحَدُ الْحُجَّةِ الْإِلَهِيةِ الرَّبَّانِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الرَّسُولِيَّةِ لَا
الْحُجَّةِ الَّتِي تَزْعُمُهَا أَنْتَ يَعْنِي قَدْ يَقُولُ إِنْسَانٌ قَوْلًا، وَيَقُولُ: قَدْ أَقَمْتُ بِهِ الْحُجَّةَ.
وَيَكُونُ الْقَوْلُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ بَاطِلًا أَوْ يَكُونُ غَيْرِ وَاضِحٍ أَوْ لَا يَصِلُ إِلَى الْمَحْجُوجِ
الَّذِي تَقَامُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بَعْضُهُمْ يَكْتُبُ فِي جَرِيدَةٍ مِنَ الْجَرَائِدِ السَّيَّارَةِ، وَيَقُولُ
أَقَمْتُ بِذَلِكَ الْحُجَّةَ. هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ فَلَا بُدَّ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ.

تَوْفُرُ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءُ الْمَوَانِعِ، وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ، وَالْحُجَّةُ بِشُرُوطِهَا هَذَا أَمْرٌ كَبِيرٌ، التَّفْصِيلُ فِي مَسْأَلَةِ التَّكْفِيرِ لِمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْهُجُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَبِهِ افْتَرَقَتِ الْأُمَّةُ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ إِلَى هَذِهِ الشُّعْبِ، الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ رَايَةِ السَّلَفِ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ بِسَبَبِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، الَّذِي لَا يُفْصَلُ يُكْفَرُ قَوْلًا وَاحِدًا، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى التَّكْفِيرِ مَا يَتَرْتَّبُ مِنَ الْخُرُوجِ وَالتَّنْظِيمِ، وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَاسْتِحْلَالِ الْأَبْدَانِ بِالدِّمَاءِ، وَاسْتِحْلَالِ نَهْبِ الْأَمْوَالِ، وَسَلْبِ الثَّرَوَاتِ، وَالْحَرْبِ الْمُقَدَّسَةِ... تَقَدَّمُوا يَا رِجَالُ...

يَقُولُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ: تَقَدَّمُوا يَا رِجَالُ، اللَّهُ أَكْبَرُ!!

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَتَبَيَّنَ الْمَحَجَّةُ فِيهِلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلَا يَحْقِرَنَّ نَفْسَهُ عَنْ بَيَانِهِ وَلَا يَهَابَنَّ أَحَدًا فِيهِ؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

* قُلْتُ: وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ إِنَّمَا وَجَدُوا مِيرَاثًا وَرِثُوهُ، وَقَدْ لَمْ يَدُلَّهُمْ، وَقَدْ يَكُونُونَ مِنَ الْجَهْلِ بِدِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَدُلَّهُمْ مَنْ عِنْدَهُمْ، وَلَا حَوْلَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَثِقُونَ فِيهِمْ، لَمْ يَدُلُّوهُمْ عَلَى خُطُورَةِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخَطِيرَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَارَعَ فِيهَا الْإِنْسَانُ إِلَى الْحُكْمِ، هَذَا لَا يَجُوزُ، وَإِلَّا وَقَعَ فِي التَّكْفِيرِ، وَكَفَّرَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَهَذَا لَا

يَجُوزُ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ؛ لِأَنَّهُمْ عِنْدَمَا يُكْفِرُونَ الْحُكَّامَ يُسْقِطُونَ الْوَلَايَةَ الشَّرْعِيَّةَ إِذَا كَفَرَ سَقَطَتْ وَلَايَتُهُ لَا يُطَاعُ لَيْسَتْ لَهُ طَاعَةٌ، وَحِينَئِذٍ تَبْدَأُ الْجَمَاعَاتُ فِي الْعَمَلِ، وَالتَّشْكِيلَاتِ، وَالتَّنْظِيمَاتِ السَّرِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَالَّتِي تَبْتَغِي الْخُرُوجَ فِي النَّهْيَةِ خُرُوجًا مُسَلَّحًا؛ مِنْ أَجْلِ إِزَاحَةِ مَنْ كَفَرَ، وَإِقَامَةِ الْحُكْمِ بِزَعْمِهِمْ.

وَلَمْ يَحْدُثْ ذَلِكَ كَمَا رَأَيْتَ لَا فِي الْجَزَائِرِ، وَلَا فِي فِلِسْطِينَ، بَلْ غَزَّةَ كَمَا تَرَى، قَالُوا: سَنَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ!! فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى كَرَّاسِي الْحُكْمِ قِيلَ لَهُمْ: احْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ. قَالُوا: لَا نَسْتَطِيعُ الْآنَ، وَأَتَوْنَا بَعْضَ الْكُفَّارِ جَعَلُوهُمْ مَعَهُمْ فِي الْوِزَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَبَعْضَ النَّسْوَةِ مِنَ السَّافِرَاتِ الْعِلْمَانِيَّاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا.

إِذْنًا: الْقَضِيَّةُ قَضِيَّةُ الْكُرْسِيِّ فَقَطُ لَيْسَتْ قَضِيَّةُ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ. يُقَالُ لَهُ: قَدْ صِرْتَ صَاحِبَ سُلْطَانٍ. فَإِنْ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ هِيَ سُلْطَةٌ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ.

قُلْنَا: وَلِمَ نَازَعْتَ عَلَيْهَا أَصْلًا، مَا دَامَتْ سُلْطَةٌ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ، وَلِمَاذَا أَتَيْتَ بِالْفِتَنِ، وَالْمِحَنِ، وَالْبَلَايَا؟

هَذَا أَمْرٌ مُسْتَعْرَبٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

وَلَكِنْ هَكَذَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ دَائِمًا وَأَبَدًا، يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ فِي الْقِطَاعِ يَقُولُونَ الْأَرْضُ أَرْضُ اللَّهِ، وَالْخِلَافَةُ إِذَا أُقِيمَتْ لَا حُدُودَ، وَلَا قِيُودَ، وَلَا سُودَ،

وَالْمُسْلِمُ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعُظْمَى، وَفِي زَمَنِ الْخِلَافَةِ يَتَحَرَّكُ فِي أَرْضِ اللَّهِ
كَمَا يَشَاءُ.

إِذَنْ هَذِهِ الْأَرْضُ الْفَلَاةُ هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَى الْمِصْرِيِّينَ هَذِهِ الْأَرْضُ
أَرْضُ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ فَنَحْنُ نَأْخُذُ هَذِهِ الْأَرْضَ تُسْقِطُونَ حُجَّتَكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ إِذَا دَخَلْتُمْ
فَاخْتَلَلْتُمْ أَرْضَ الْمِصْرِيِّينَ يَقُولُ لَكُمْ الْيَهُودُ: أَنْتُمْ تَحْتَلُونَ أَرْضَ الْغَيْرِ فَلِمَاذَا
تَطَالِبُونَنَا بِأَنْ نَجْلُو عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي أَخَذْنَا مِنْكُمْ، تُسْقِطُونَ حُجَّتَكُمْ هَذَا أَوَّلًا.

ثَانِيًا: أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ إِذَا كَانَتْ مِلْكًا لِلْمِصْرِيِّينَ فَاتَّهَمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ
تَكُونُوا آخِذِينَهَا بِرِضَاهُمْ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونُوا آخِذِينَهَا قَسْرًا، وَرَغِمَ أَنْفُوهُمْ فَاتَّهَمَ بَيْنَ
أَمْرَيْنِ فَهَلِ اسْتَأْذَنْتُمْ أَصْحَابَ الْأَرْضِ فِي الْإِسْتِحْوَاذِ عَلَيْهَا؟

لَمْ يَسْتَأْذِنُوا إِذَنْ غُصِبَتْ، قَدْ أَخَذْتُمُوهَا غُصْبًا إِنَّكُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ
تَسْتَأْذِنُوا، وَلَمْ تَسْتَأْذِنُوا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونُوا غَاصِبِينَ، هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا
مَنْ يَقَعُ.

شَيْءٌ آخَرَ كَبِيرٌ وَخَطِيرٌ، الْعَالَمُ يَمُوجُ بِالْفِتَنِ، وَالْفِتَانِينَ، وَالزَّائِعِينَ
الْمُنْحَرِفِينَ الَّذِينَ يَفْجَرُونَ يَدْمُرُونَ، وَالَّذِينَ يَتَّمُونَ إِلَى الْإِسْتِخْبَارَاتِ الْكَافِرَةِ
فِي الدَّوْلِ الْكَافِرَةِ الْفَاجِرَةِ فَتُرِيدُ أَنْ تُزِيلَ الْحُدُودَ بَيْنَ الْقِطَاعِ وَمِصْرَ وَحَدَّهَا
يَعْنِي هَلْ نَصْنَعُ نَحْنُ نَفْسَ الصَّنِيعِ فِي الْحُدُودِ الْغَرْبِيَّةِ لَنَا فَتَتَوَسَّعَ فِي الْأَرْضِ
الْيَبِئَةِ، وَنَقُولُ هِيَ أَرْضُ اللَّهِ أَوْ فِي الْحُدُودِ الْجَنُوبِيَّةِ، وَفِي السُّودَانَ مِنَ الثَّرَوَاتِ

مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَنَقُولُ هِيَ أَرْضُ اللَّهِ، وَالدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْقَائِمَةُ، وَالْخِلَافَةُ وَاللَّهُ
أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

وَهُنَا يُرَوِّجُونَ وَهَذَا خَطِيرٌ يَقُولُونَ الْخِلَافَةُ وَهَؤُلَاءِ إِخْوَتُنَا، نَعَمَ إِخْوَتُنَا
دِيَارُنَا دِيَارُهُمْ، وَأَمْوَالُنَا أَمْوَالُهُمْ، وَكُلُّ مَا نَمْلِكُ مِنَ الْقُوَّةِ رَهْنُ الْإِشَارَةِ عِنْدَمَا
يَكُونُ الْجِهَادُ شَرْعِيًّا تَحْتَ الرَّايَةِ لَا نَبْخُلُ بِهِ، وَلَا نَضِنُّ بِهِ أَبَدًا حَتَّى الدِّمَاءِ.

هَذَا وَاجِبُ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ، وَهَذَا مَا فَرَضَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ يَقُولُونَ إِخْوَانُنَا نَبْغِي أَنْ نَسْعَهُمْ، نَعَمَ سَعَهُمْ عَلَى الرُّؤُوسِ،
وَلَكِنْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، دَخَلْتُمْ قَسْرًا.

فَبَيْنَ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ تَكُونُوا تَخَطَّيْتُمْ إِلَى حُدُودِ الْغَيْرِ بِرَغْبَتِهِمْ، وَإِرَادَتِهِمْ،
وَإِخْتِيَارِهِمْ بِالتَّفَاوُضِ مَعَهُمْ. لَمْ يَقَعِ، فَالثَّانِيَةُ إِذَنْ قَدْ اغْتَصَبْتُمْ مَلِكًا غَيْرَكُمْ،
وَهَذَا لَا يَجُوزُ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

يَعْنِي هَلْ يَجُوزُ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَغْتَصِبَ الْمُسْلِمُ دَارَ أَخِيهِ، وَيَقُولُ:
نَحْنُ فِي زَمَنِ الْخِلَافَةِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ؟!!

يَجُوزُ؟!!

لَا يَجُوزُ، يُرَبُّونَ النَّاسَ عَلَى الضَّلَالِ وَالْبَاطِلِ، ثُمَّ لِمَاذَا لَمْ تَتَوَسَّعْ فِي
الْإِتِّجَاهِ الْآخِرِ يَعْنِي تَتَمَدَّدُ هَاهُنَا فَقَطْ تَتَمَدَّدُ هُنَالِكَ، فَهَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ تَمَدُّدُ
هُنَالِكَ لَا هُنَا، فَشَيْءٌ غَرِيبٌ.

وَلِذَلِكَ نَذَكُرُ هُنَا ذَلِكَ الْمُعَلِّمِ الَّذِي كَتَبَ سَطْرًا، ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ تَلَامِيذَتِهِ أَنْ يَقْرَأَهُ، فَقَالَ: قُمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا كَتَبْتُ، فَلَمْ يَقُمْ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ: قُمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ. فَلَمْ يَقُمْ. فَجَاءَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قُمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَاقْرَأْ لِمَاذَا لَمْ تَقُمْ؟

قَالَ: يَا أَسْتَاذُ لَمْ تُعَيِّنِي، كُلُّنَا عِبَادُ اللَّهِ، كُلُّنَا عِبَادُ اللَّهِ فَلَمْ تُعَيِّنِي.

* قُلْتُ: قُمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ.

كُلُّنَا عَبْدُ اللَّهِ.

فَقَالَ لَهُمْ: حَيُّوَا أَخَاكُمْ أَيُّهَا التَّلَامِيذُ فَحَيِّوْهُ، ثُمَّ قَالَ: قُمْ يَا حَمْرَةَ فَاقْرَأْ هَذَا السَّطْرَ فَلَمْ يَقُمْ، قَالَ: قُمْ يَا حَمْرَةَ فَلَمْ يَقُمْ، فَجَاءَهُ فَقَالَ: يَا حَمْرَةَ لِمَ لَمْ تَقُمْ؟ قَالَ: يَا أَسْتَاذُ لَمْ تُعَيِّنِي كُلُّنَا حَمَامِيزُ اللَّهِ.

فَهِيَ أَرْضُ اللَّهِ، وَهِيَ الْخِلَافَةُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانِ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ.



قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»^(١).....

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (وَالدَّلِيلُ): أَيِ: عَلَى وَجُوبِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَالْكَفْرِ بِالطَّاغُوتِ.

* قُلْتُ: وَالِدَّلِيلُ يَعْنِي عَلَى مَا مَرَّ ذِكْرُهُ فِي مَسْأَلَةِ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ.

مَعْنَى الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ: أَنْ تَعْتَقِدَ بَطْلَانَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَتَتْرَكَهَا، وَتُبْغِضَهَا، وَتَكْفُرَ أَهْلَهَا، وَتُعَادِيَهُمْ.

مَعْنَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ بِحَقِّ وَحْدِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلِصَ لَهُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَتَنْفِيهَا عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، وَتُحِبُّ أَهْلَ الْإِخْلَاصِ، وَتُؤَالِيَهُمْ، وَتُبْغِضُ أَهْلَ الشَّرْكِ، وَتُعَادِيَهُمْ هَذَا مَعْنَى الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٨: ١، رَقْمُ ٢٦١٦)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي (الْفِتَنِ، ١٢: ٧، رَقْمُ

٣٩٧٣)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٤١٣).

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِيْنُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: لَا إِكْرَاهَ عَلَى الدِّينِ لِظُهُورِ أَدْلَتِهِ وَبَيَانِهَا وَوُضُوحِهَا وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، فَإِذَا تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَإِنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَلِيْمَةٍ لَا بُدَّ أَنْ تَخْتَارَ الرُّشْدَ عَلَى الْغَيِّ.

* قُلْتُ: الْغَيُّ الضَّلَالُ الْمُفْضِي إِلَى الشَّقَاءِ، وَالْخُسْرَانِ، هَلْ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ هُوَ مَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهَا؟ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَقْوَالٌ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الْآيَةُ فِيهَا أَقْوَالٌ:

الأوَّلُ: أَنَّ أَحَدًا لَا يُكْرَهُ أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ فَنَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ لِأَجْلِ نَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَقَمَعَ أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَالْهِدَايَةَ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ. كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ.

الثَّانِي مِنَ الْأَقْوَالِ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يُجْبَرُونَ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنْ أَرَادُوا الْبَقَاءَ عَلَى دِينِهِمْ مُكَّنُوا مِنَ الْبَقَاءِ عَلَى ذَلِكَ بِشَرَطِ أَنْ يَدْفَعُوا الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.

الثَّالِثُ مِنَ الْأَقْوَالِ: أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ الَّذِي اخْتَارَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَالْآيَةُ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، وَالدِّينُ لَا يَدْخُلُ فِي الْقُلُوبِ بِالْإِكْرَاهِ، وَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيْمَانُ بِاللَّهِ، وَهُوَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ كَمَا سَيَأْتِي هُوَ تَخْلِيَةٌ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ.

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ﴾: بَدَأَ اللهُ ﷻ بِالْكَفْرِ بِالطَّاغُوتِ قَبْلَ الْإِيْمَانِ بِاللهِ؛ لِأَنَّ مِنْ كَمَالِ الشَّيْءِ إِزَالَةَ الْمَوَانِعِ قَبْلَ وُجُودِ الثَّوَابِ وَلِهَذَا يُقَالُ: التَّخْلِيَةُ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ.

* قُلْتُ: «التَّخْلِيَةُ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ»: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.

قَالَ الشَّيْخُ العُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: أَي تَمَسَّكَ بِهَا تَمَسُّكًا تَامًّا، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى هِيَ الْإِسْلَامُ، وَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَالَ ﷻ: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (تَمَسَّكَ)؛ لِأَنَّ الْإِسْتِمْسَاكَ أَقْوَى مِنَ التَّمَسُّكِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَمَسَّكَ وَلَا يَسْتَمْسِكُ.

قَوْلُهُ: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ): أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - الْإِسْتِدْلَالَ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ رَأْسًا، فَرَأْسُ الْأَمْرِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَالْإِسْلَامُ.

(وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ): لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِهَا، وَلِهَذَا كَانَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ كُفْرَ تَارِكِ الصَّلَاةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ الْإِسْلَامُ.

(وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ): أَي أَعْلَاهُ وَأَكْمَلُهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصْلَحَ نَفْسَهُ حَاوَلَ إِصْلَاحَ غَيْرِهِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِيَقُومَ الْإِسْلَامُ وَلِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَمَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَصَارَ ذِرْوَةَ السَّنَامِ؛ لِأَنَّ بِهِ عُلُوَّ الْإِسْلَامِ عَلَى غَيْرِهِ.

* قُلْتُ: السَّنَامُ فِي الشَّيْءِ أَعْلَاهُ، سَنَامُ الْبَعِيرِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ يَكُونُ مُكْتَنَزًا يَكُونُ سَمِينًا ضَخْمًا إِذَا كَانَ الْبَعِيرُ نَفْسَهُ ذَا قُوَّةٍ ذَا حَيَاةٍ، وَلَكِنْ يَضْعَفُ هَذَا السَّنَامُ بِضَعْفِ الْبَعِيرِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَذِرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ لِلدِّينِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: الرَّأْسَ، وَالْعَمُودَ، وَالسَّنَامَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَبَعْدَ الرَّأْسِ لَا وُجُودَ لِلدِّينِ أَصْلًا، فَالَّذِي يُحَقِّقُ الرَّأْسَ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ يُحَقِّقُ الْإِسْلَامَ، وَالَّذِي لَا يُحَقِّقُ الرَّأْسَ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ لَا دِينَ لَهُ أَصْلًا هُوَ الرَّأْسُ، إِنَّهُ لَا بَدَنَ بغيرِ رَأْسٍ فَرَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ حَقَّقَ الْإِسْلَامَ، وَعَمُودُ الْأَمْرِ الصَّلَاةُ الَّذِي لَا يُصَلِّي لَا يَقُومُ لَهُ دِينٌ، الْعَمُودُ فِي الْفُسْطَاطِ فِي الْخِيْمَةِ تَقُومُ عَلَيْهِ الْخِيْمَةُ، ثُمَّ تُشَدُّ بِأَطْنَابٍ إِلَى أَوْتَادِهَا حَوَالَيْهَا.

الَّذِي لَا يُصَلِّي لَا يَقُومُ لَهُ دِينٌ فَالْعَمُودُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الدِّينُ الصَّلَاةُ، ذِرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، جَعَلَ لَهُ سَنَامًا كَمَا جَعَلَ لَهُ رَأْسًا، وَعَمُودًا إِذَا فُقِدَ الْجِهَادُ فُقِدَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فَصَارُوا مُسْتَضْعَفِينَ كَالْبَعِيرِ الْمَهْزُولِ الَّذِي لَا سَنَامَ لَهُ، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ.



الْحَاتِمَةُ بَرْدُ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

* قُلْتُ: صَلَّى: خَبْرِيَّةٌ لَفْظًا إِنشَائِيَّةٌ مَعْنَى؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ الدُّعَاءَ لَا يُرِيدُ
الإِخْبَارَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ فَالْمَعْنَى: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ: (الْأَلُّ) فِيهِمْ أَقْوَالٌ، الْأَطْهَرُ: أَنْ الْأَلَّ إِذَا
ذُكِرُوا، وَحَدَهُمْ فَالْمُرَادُ: جَمِيعُ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ عَلَى دِينِهِ فَندْخُلُ نَحْنُ فَنَكُونُ مِنْ آلِ
النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا كَمَا تَرَى الْمُرَادُ هُنَا، أَمَّا إِذَا قُرِنَتْ بِالْأَتْبَاعِ فَقِيلَ عَلَى آلِهِ وَاتَّبَاعِهِ
فَالْأَلُّ حَيْثُ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَأَمَّا إِذَا ذُكِرَتْ مُفْرَدَةً: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: وَاتَّبَاعِهِ، وَلَوْ

قَالَ: وَاتَّبَاعِهِ تَكُونُ الْأَلُّ مَخْصُوصَةً بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا ذُكِرَتْ
مُطْلَقَةً كَمَا هُنَا يَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مُتَّبِعٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى سُنَّتِهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ: جَمْعُ صَاحِبٍ، وَيُجْمَعُ عَلَى أَصْحَابٍ، وَهُمْ كُلُّ مَنْ اجْتَمَعَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَمُؤْمِنًا بِهِ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ تَخَلَّتْهُ رِدَّةٌ عَلَى الصَّحِيحِ.

وَسَلَّمَ: مَعْطُوفٌ عَلَى (وَصَلَّى اللَّهُ) أَي: اللَّهُمَّ سَلِّمْهُ، فَأَيْضًا هَذَا خَبْرِي فِي اللَّفْظِ إِنشَائِي فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُمَّ سَلِّمْهُ أَي: مِنَ النَّقَائِصِ، وَالرِّذَائِلِ، وَالْأَفَاتِ ﷺ.

وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالسَّلَامِ سِرٌّ بَدِيعٌ؛ فَفِي الصَّلَاةِ حُصُولُ الْمَطْلُوبِ، وَفِي السَّلَامِ زَوَالُ الْمَرْهُوبِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعَثِيمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: خَتَمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- رِسَالَتَهُ هَذِهِ بِرَدِّ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِهَذَا انْتَهَتْ «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ»، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُثَيِّبَ مُؤَلَّفَهَا أَحْسَنَ ثَوَابٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا نَصِيبًا مِنْ أَجْرِهَا وَثَوَابِهَا، وَأَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَّاهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

* قُلْتُ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمُرْسَلِينَ.

وَقَدْ كَانَ الْفَرَاغُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى شَرْحِ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ، وَبَيَانَ
 غَامِضِهَا فِي الْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ بِسُبُكِ الْأَخْدِ مِنْ أَعْمَالِ مُدِيرِيَّةِ الْمُنُوفِيَّةِ بِمِصْرَ
 -حَرَ سَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِعِنَايَتِهِ- فِي مَجَالِسَ أَوَّلِهَا لَيْلَةُ الْخَمِيسِ السَّابِعِ مِنْ
 شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةِ تِسْعِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ الْمُخْتَارِ وَالرَّبِيعِ الْمُوَافِقِ
 لِلرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ فَبْرَايِرِ لِسَنَةِ ثَمَانٍ وَأَلْفَيْنِ مِنْ مِيلَادِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ الْمَرْيَمِ.

وَآخِرُهَا لَيْلَةُ الْأَحَدِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ لِسَنَةِ تِسْعِ وَعِشْرِينَ
 وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ الْمُخْتَارِ وَالرَّبِيعِ الْمُوَافِقِ لِلرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ
 فَبْرَايِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَلْفَيْنِ مِنْ مِيلَادِ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَكَلِمَتِهِ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
 وَرُوحٍ مِنْهُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com